

من هو المعاق حقيقة؟

يظن كثير من الناس أن المعاق حقيقة هو من فقد الأهلية على الحياة الطبيعية من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذه الطائفة ممن أصيب بعاهة ذهنية أو فكرية أو نفسية مأجورون في الإسلام، لهم منزلتهم من الاحتفاء والاعتناء، لكن المعاق حقيقة هو من عطل عقله، وجمد حواسه، وأمات مشاعره، فعاش ثوراً في مسلاخ إنسان، وتحول إلى بهيمة في صورة ابن آدم، ومُسخ إلى دابة في هيئة بشر، ولهذا قال الله تعالى عن هذا الصنف: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

فمن لم يفكر بعقله التفكير الصحيح، ولم يعتقد بقلبه الاعتقاد السليم، ومن لم ينهج النهج القويم، ويسلك الصراط المستقيم فهو معاق حقيقة، أما من أصيب بعاهة في جسمه فقد تكون هذه العاهة سبباً لعظمته ونجاحه وتفوقه، وقد طالعت حياة المشاهير والنجوم في العالم، وإذا طائفة منهم أصيبوا بعاهات في أبدانهم، فابن عباس عالم الأمة عمي في آخر عمره، وقتادة أعمى، وعطاء بن أبي رباح عالم الدنيا أشل أحنف أعرج، والزمخشري مبتور الرجل، وروزفلت مقعد، وبتهوفن أعم، وغيرهم كثير من العمي والعرج والخرس والبكم والمقعدين، ومع هذا ملأوا الدنيا نجاحاً ومجداً وأثراً طيباً، وعندنا ألوف مألفة من الشباب القوي المتين الثخين السمين البدين، إلى درجة أن أحدهم قد يصارع الثور، وي طرح البغل، ويقلب الحمار على ظهره، ولكنه فاشل في الحياة، فلا علم ولا فهم، ولا إيمان راسخ، ولا خلق قويم، ولا مشاركة في الحياة، ولا نفع يُرجى منه، كما قال حسان بن ثابت في بعض الناس:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عَظَمِ

جسْمُ البِغَالِ وَأَحْلَامُ العَصَافِيرِ

وقد ذم الله أعداء المنافقين على رغم قوة أجسامهم وفصاحتهم لكن لخبث سيرتهم وقبيح سريرتهم قال عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾، نحن نحتاج إلى عقول ذكية وأفكار سوية وأخلاق راشدة وهمم عالية، أما الجثث الهامدة والأجسام البالية التي لا روح فيها ولا نور ولا مشاعر فهي العبء الثقيل، والعذاب الوويل على الناس وعلى الحياة، وقد وجدنا من ذوي الاحتياجات الخاصة من صار قصة في النجاح، ومثلاً شروداً في الإبداع فمنهم من حصل على رغم شلله على درجة الدكتوراه، ومنهم من ألف الكتب وهو مقعد، ومنهم من ساهم في مشروع نافع مفيد وهو فاقد لبعض أعضائه، وقد خصصت قناة اقرأ برنامجاً عن ذوي الاحتياجات الخاصة داخلنا فيه الأمير الإنسان سلطان بن سلمان فسمعنا من قصص النجاح ومن فتح باب الأمل ومن المبشرات لهذه الطائفة من الناس ما أثلج الصدور وصارت المحنة منحة والبلية عطية وتذكرنا قول أبي الطيب:

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

وقال أبو تمام:

قَدْ يُنِعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

هنيئاً للمصابين في أجسامهم المعافين في عقولهم وإيمانهم، وطوبى لمن صنع من الليمون شراباً حلواً، وسلاماً على من حوّل الخسائر إلى أرباح فلم تعطله آفة، ولم تقعه عاهة عن المواصلة والعمل والإنتاج والإبداع، وتباً لمن عطل مواهب الله عليه فعاش صفرًا ومات صفرًا ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، أيها الأخوة الفضلاء والأخوات الفاضلات من ذوي الاحتياجات الخاصة ليس عندكم إعاقة، المعاق حقيقة هو الفاشل والمحبط والكسلان الذي عاش بلا رسالة ولا هدف في الحياة وإنما صار لفظاً زائداً وجملة غير مفيدة في كتاب الحياة.



لا تهددوا العالم

عند كثير من المسلمين قدرة عجيبة في استعداد العالم، وتحويل الأصدقاء إلى أعداء، فتجد مثلاً الخطاب السياسي في بعض الدول العربية والإسلامية يحمل التهديد والوعيد للدول الكبرى، بينما هذه الدول الضعيفة المسكينة عاجزة عن توفير الخبز والبنزين ومحو الأمية عن شعوبها، وسمعت في قناة العربية مفكراً إيرانياً إصلاحياً يسخر من نظام بلاده، ويقول: ما أدري إلى أين تنتهي بنا قائمة الموت؟ فقد بدأ النظام بهتاف: الموت لأمريكا، ثم أضاف الموت لإسرائيل، ثم شك في بريطانيا فأضاف: الموت لبريطانيا، ولما تدخلت صحيفة فرنسية في تغطية أخبار المظاهرات بإيران، أضافوا: الموت لفرنسا، وإذا لم تتخذ روسيا قرار النقص (الفيتو) ضد العقوبات على إيران فسوف يضيفون: الموت لروسيا، وربما يدخل في القائمة غداً الصومال وبركينفاسو وغانا لحسن علاقاتها بأمريكا، وفي الأخير سوف يقولون: الموت للعالم.

بالله هل هذه العقول تحترم نفسها، وهي ترفع شعار الإسلام؟! والإسلام يدعو لتحويل العدو إلى صديق، لا تحويل الصديق إلى عدو، قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾، وبعض الأئمة يدعو في القنوت: اللهم اهلك اليهود ومن هاودهم، والنصارى ومن ناصرهم، والمجوس ومن ما جسهم، والبوذيين ومن باودهم، والصينيين ومن صاينهم، ثم تضيق دائرة الدعاء فيدعو على الأحزاب المخالفة والفرق الضالة والطوائف المبتدعة، فلا يبقى إلا أهل حارته، بل وصل الحال ببعض الأئمة على أن دعا بضرب اقتصاد الغرب وبالأمراض عليهم، مع العلم أننا سوف نتضرر بما يحل بهم، فاقصادنا واحد والأمراض والأوبئة سوف تصلنا، لأننا نعيش في كوكب واحد، والبعض يعمم الدعاء على الكفار، سواء المعتدين أو غيرهم، مع العلم أن الذي صنع الميكروفون في المسجد،

واكتشف الكهرباء، ونقّب عن الغاز، واخترع التلفزيون والراديو وانت كلهم كفار، وكثير منهم لم يحاربنا، لأنه مشغول باكتشافاته واختراعاته، وهو قابع في معمله، مكب على بحوثه، ونحن مشغولون بالدبكة السامرية، والعرضة الشعبية.

لماذا يحرص بعضنا على استعداد العالم، وتهديد الدنيا، والدعاء بالويل والثبور للمعمورة، ما هي المصلحة من تشبيه الغافل، وإيقاظ النائم، وتوجيه الأنظار إلى أننا قادمون ومستعدون، لمحاربة العالم؟ هل هذا منهج الإسلام؟ هل هذا منطق الدين؟ هل هذا من العقل؟ أم هو الحمق بعينه، والغباء بأصله، إننا بحاجة لطمأنة العالم وزيادة الأصدقاء وتحيد الخصوم؛ لأن رسالتنا رسالة عالمية فيها الرحمة والسلام والأمن، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾. بعض الزعماء إذا خطب في الجماهير الجائعة المسحوقة المسلوقة الإرادة لبس الزي العسكري، وهو لم ينتصر في أي معركة، وعلق النياشين على صدره، والنجوم على أكتافه، وتاج الاستقلال على رأسه، وهو الذي استعمر بلاده، ثم ألقى خطبة نارية، توعدها فيها الدول الكبرى بالنار والدمار، وبلده يعيش أزمة الغلاء والوباء، ولم يذق طعماً للنصر، بل هو مهزوم في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون علماء وخطباء وساسة ومثقفون وكتّاب قدموا خطاباً عاقلاً راشداً مسؤولاً، يحمل الرفق واللين والرحمة بالبشر، وكفانا هزائم وشعارات خدّاعة، وإنجازات وهمية، وأفكار طائشة، لا تناسب إلا المرضى نفسياً، والمراهقين عقلياً، والمهزومين روحياً.

إن شريعتنا تدعونا إلى التواصل بالبر لغير المسلمين إذا لم يقاتلونا، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، فكيف يأتي بعضنا بطيش وحماسة ليستعدي العالم المسالم، ويهدد أمم الأرض، وهو عاجز عن العيش بسلام في أرضه؟



مناهج بلا سخف

شاهدتُ قناة العربية الأربعاء الماضي عصراً، وهي تخبر عن أسئلة سخيفة، قدّمها بعض الأستاذة في المدينة المنورة لطلابهم في الامتحان، فحمدت الله على نعمة العقل، وكان يسألهم في الامتحان عن أسماء اللاعبين والنادي الزعيم وألوان الأندية إلى غير ذلك من الكلام الفارغ، وبالله عليكم هل هذا الأستاذ مؤهل لتوجيه جيل، وتربية شباب، وحمل أمانة، وتقويم أخلاق، وتصحيح أفكار؟ وانظر إليه حينما ترك مادته، التي يجب أن يقتلها بحثاً وتديساً وتفهيماً، وقفز إلى ألوان الفنايل وأشكال السراويل وأسماء اللاعبين، وكأن الإعلام قصر في عرض المباراة، ونشر الثقافة الرياضية، وتعليم العجائز بأسماء اللاعبين، وتحفيظ الشيبان أسماء الأندية.

وهناك سخف في المناهج كإشغال الطلاب بالآراء المذهبية المقلدة المتعصبة، وهجر التفقه في الكتاب والسنة والاستنباط من الأدلة، ومثل عرض نقائص جرير والفرزدق في الأدب العربي وتديسها الطلاب، على أنها من تراثنا وهي سب وشتم وفحش وقذف، ومن السخف تديس الطلاب الجوانب المظلمة في تاريخنا الإسلامي، مثل خمريات أبي نواس، والحاديات أبي العلاء المعري وأبي حيان التوحيدي وابن الريوندي، ومن السخف إشغال الطلاب بأخبار مغني هارون الرشيد، وجواري الأمين، وحكايات الأعراب، ودقائق وتفاصيل أصول بني أمية وبني العباس وأخبار الشعراء المرتزقة، الذين ينتظر أحدهم صرخة الخليفة: أعطه يا غلام ألف دينار. بعدما يسكر الخليفة بخمر المديح.

ومن السخف في المناهج وقدر درسنا ذلك في المتوسط والإعدادي إرهاب أذهان الطلاب بالصادرات والواردات في دول فقيرة لا تُرى بالعين المجردة على الخارطة كمدغشقر وبوركينا فاسو وداهومي (بنين) وموزنبيق، وتحفيظ الطلاب

المطاط والأناناس والكاكاو والنحاس ونسبة كل مادة لدولة من هذه الدول، مع هجر أصول المعرفة، وسنن الله في الكون، وأصول الحضارة، وسبل التقدم والرقي، ومن السخف إدخال الطلاب في متاهات التاريخ المعاصر ودقائقه، مع هجر قضاياها الكبرى، فهم يدرسون الطلاب انقلاباً وقع في دولة، وعسكرياً اغتصب السلطة مع العلم أن هذه الحوادث تجري كل يوم، بل وصلت الثقافة في بعض المناهج إلى دراسة الأزياء والأكلات الشعبية وأنواع الرقصات القبيلة وفنون الأهازيج الحمينية وأغاني رعاة الأغنام، ومن السخف دراسة طلاب المتوسطة في المعاهد الشرعية لدقائق الجبر والهندسة والحساب، ثم لا يجيدونها ولا يفهمون الدروس الأصلية، التي أسست المعاهد من أجلها: كالعقيدة والتفسير والحديث والفقه.

ومن السخف إشغال الطلاب في السنوات الأولى من دراستهم بأسماء الفرق والطوائف كالقدرية والجبرية والجهمية والمعتزلة ونحوها مع عدم دراسة العقيدة الصحيحة باستفاضه وفهم عميق، ومن السخف خروج الأستاذ عن مادته خاصة إذا كانت مهمة إلى مادة ثانوية، ويوم درسنا الابتدائية كان يخرجنا بعض الأساتذة ممن ساهموا في نكسة حزيران من حصة القرآن إلى حصة الرياضة، وكأن التمارين أهم من كلام رب العالمين، ينبغي أن نرفع مستوى مناهجنا عن السخف والابتذال، ونحافظ على الثوابت العظيمة، مع معطيات العصر الكريمة، والاستفادة من العقول السليمة، والآراء القويمة، ينبغي أن ننافس العالم بمناهج تعيش حياتنا وتحمل رسالتنا وتراعي هويتنا؛ لنصل بها إلى المجد في الدنيا والفلاح في الآخرة، وينبغي أن يعلم كل أستاذ أنه مسؤول أمام الله ثم أمته وتاريخه عن أبناء المسلمين وقلذات أكباد المؤمنين، الذين يجلسون أمامه خاشعين منصتين، والمناهج الدراسية هي المرأة، التي تريك مستوى رقي الشعوب وتقدم الأمم وازدهار الدول.



وأخيراً شاهدتُ فرعون

قبل أيام معدودات زرت المتحف الوطني بالقاهرة، وشاهدت المدعو فرعون الذي تجبر وتكبر وعصا وعتا، وتمرد وطفى، وصاح في شعبه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ونادى في الجمهور ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾، ورأيت جثته الهامدة وجثمانه البالي، وتذكرت قول الواحد القهار فيه ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَنَّ لِمَنْ حَفَّتْ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾، ودارت في ذهني مأساة الإنسان يوم ينسى ربه، ويظلم نفسه، ويتجاوز حدوده، ويتعدى طوره، كيف يكون مصرعه، وكيف تتم نهايته؟ رأيت فرعون بهيكله العظمي، ووجهه الكالح، وأسنانه الظاهرة، وجمجمته المهشمة وحيداً منفرداً صفرأً من كل شيء، مجرداً من كل قوة، مسلوباً من كل نعمة، معروضاً لعيون الناس بتاريخه وسيرته وجثمانه، رأيت في صندوق زجاجي بلا دولة ولا سلطان، ولا قوة ولا هيلمان، ولا سلطة ولا صولجان، ولا جنود ولا أعوان.

كان يقول له موسى: قل لا إله إلا الله، فيقول الخسيس الحقيقير: أنا الله، كان يقول له موسى: ربي وربك الواحد الأحد جل في علاه، فيقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾، ملك الغبي الأحمق قطعة من الأرض فاستبد، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، فأجرى الله الأنهار من فوق رأسه، تذكرت فرعون وهو يغرق في الماء، ثم يُرمى في البيداء، كما تُرمى الضفدع الميتة، أما فكر المعتوه في الكون، أما نظر في السموات والأرض، أما شاهد الأفلاك والكواكب، أما نظر إلى الشمس والقمر، أما قرأ القدرة في النجوم اللامعة، والجبال الشاهقة، والبحار الهاجرة، والرياح الهائجة، والأنهار المتدفقة، والثمار اليانعة؟ ما له قاتله الله ألغى عقله، وشطّب على ضميره، وداس بقدمه تفكيره، لماذا لم يقف وقفة تأمل مع نفسه، ليعلم أنه لا يصلح رباً ولا يكون إلهاً أبداً؛ لأن الرب سبحانه حي لا يموت، دائم لا يفنى، غني لا يفتقر، قوي لا يضعف، لا ينام.

ولا يأكل الطعام، ولا يحتاج للأنام، ولا تغيره الأيام، أما فرعون فمخلوق ضعيف، يموت كما يموت الناس، ويجوع كما تجوع البهائم، وينعس كما ينعس القط، وينام كما ينام الفأر، ويأكل الطعام ويذهب إلى الخلاء، فإن كان فرعون خلق الكون، فكيف يخلقه والكون مخلوق قبله بملايين السنين؟ وإن كان هو رفع السماء فأين قوته لم تحمه من هيجان الماء، تبت يد الطاغية كيف ارتكبت تبت الكبرى وصدقها، وهو أنه صنع الكون وهندسه، وأنه خلق الكائنات، وملك الأرض والسموات، سحفاً له، كيف أخرج للعالم مسرحية عابثة هزيلة سخيفة، خلاصتها: أنه يجب أن يُعبد من دون الله، أيعبد إنسان! إنما هو قطعة لحم وهيكل عظم يغص باللقمة، ويشرق بالشربة، ويضيق بالزكام، ويحتاج إلى الطعام، ويفيبه المنام، ويقلقه الحر، ويؤذيه البرد، وينهشه الجوع، ويزعجه الظمأ، ويوهنه المرض، كيف يكون إلهاً مَنْ أوله نطفة مذرة، وهو يحمل في بطنه العذرة، وينتهي إلى جيفة قذرة؟! كيف يكون رباً من يبكي ويحزن ويهتم ويتشاءب ويعطس ويفعل وينسى ويغضب ويحقد ويحسد ويمتخط ويبول ويتغوَّط ويجامع، إن هذا إنسان مخلوق ضعيف هزيل هش بئس فقير، وليس بإله قوي غني قاهر حي قيوم فعال لما يريد، أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

شاهدت فرعون فصاح قلبي: لا إله إلا الله، البقاء لله، العظمة لله، الكبرياء لله، الملكوت والجبروت لله، ونظرت في وجه فرعون الكالغ، وقال قلبي: تباً لك يا مريد، وسحفاً لك يا عنيد، ولعنة عليك يا بليد، ذق نهايتك المرة، وتجرع غصص الحسرة، وكن عبرة وأي عبرة، لقد جئنا بعدك يا فرعون بآلاف السنين، وعرفنا أن الله هورب العالمين، وإله الأولين والآخرين، أما أنت فصفر في هذا الكون، ومخلوق غير سوي في هذا الوجود، نقرأ سيرتك فنزداد غيظاً عليك، ونبراً إلى الله منك ومن منهجك، ونعوذ بالله من مصير كمصيرك، ونستجير بالله من نهاية كنهايتك، والويل كل الويل لمن قلّد فرعون، أو نهج نهجه، أو رضي أفعاله.



عندنا مرض اسمه (ضيق الأفق)

متى نصحوها؟ متى نتجرد للحقيقة؟ متى نكون صرحاء مع أنفسنا والناس؟ متى نواجه مشكلاتنا بشجاعة؟ ما زلنا نضيق بالنقد، ونعشق المدح، ونطرب للثناء، ونخفي جراحنا، وندفن أخطاءنا، ونرفض الاعتراف بمآسينا، متقفون يتراشقون بالتهم، الإداريون يلقون مسؤولية الكوارث على الطبيعة والأمطار والرياح والجبال والأودية، وليس فيهم من يعترف بخطئه، بل يقذف بالكرة في مرمى الآخرين، ويبحث عن ضحية يشنقه أمام الجمهور، العالم الآخر يناقش قضاياها تحت قبة البرلمان، ورئيس أكبر دولة في العالم يقول لشعبه: آسف آسف، ما نعتت فينا الشريعة ولا أي ثقافة، أزور المشايخ فإذا الكل معجب بنفسه ويمدح ذاته، أجلس مع التجار فإذا كلهم يرون أنهم هبة من الله للأمة، وأجلس مع القبائل فإذا كل قبيلة تغني بأشعار الشجاعة والتضحية، ومقصودهم حروب السلب والنهب قبل توحيد السعودية على يد قائد الثورة عبدالعزيز بن عبد الرحمن.

الأدباء عندنا والكتّاب في أبراج عاجية، رضينا كلنا عن أنفسنا، الكل منا أخذ مقلباً في نفسه، تدخل على الموظف تريد أن تجامله بعبارة، وتجبر خاطره بكلمتين، فيأخذ الحديث عنك، ويلقي عليك محاضرة طويلة ثقيلة وبيلة عن إنجازاته الشفوية ومشاريعه الوهمية، أغلب المشايخ يشكون لك من تنكر الناس لهم، وعدم معرفة العامة بمنزلة أهل الفضل، ويقصدون أنفسهم وبمكانة أهل العلم ويعني ذاته، ليس فينا واحدٌ يعلن مسؤوليته عن خطأ وقع أو خلل حدث، فالإعلام في العالم العربي مهمته الإنكار والتبرير والتغني بالمنجزات، التي حسدنا عليها (المجلس الأوروبي)، وانذهل منها (الكونجرس)، واندهش منها (الكرملن)، وعجب منها (التمور الآسيوية)، عندنا حساسية من النقد نرفضه ولا نقبله، ومن نقدنا فهو عدونا، ونهش للمديح، ونسكر بالثناء، ونخدر بالإطراء، فمن شكرنا وتغنى بأمجادنا فهو حبيبنا، العامة يفردون بمجد القبيلة، ويتغنون

بأمجاد الأجداد بين الخيمة والناقة والثور والبئر، والكتّاب في الغالب يتحرشون برموز المجتمع من مسؤول أو عالم أو وزير أو مثقف لأن مجدهم في إلقاء التهم وصلب المخالف على خشبة الموت.

أقول هذا ليس من باب جلد الذات لكنها الحقيقة، فقد خالطت كل الشرائع في المجتمع وجالستهم، وأنا واحد منهم أصابني نفس الداء الذي أصابهم، نحب تقبيل الرؤوس وبوس الخشوم وكلمة الإطراء، ونغضب إذا جردت أسماءنا بلا ألقاب، كان الصحابة يقولون للخليفة مباشرة بشفافية وصراحة: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وكذلك فعل العالم الآخر ينادون رموزهم بالأسماء المجردة، لكن عندنا لك الويل يوم تجرد أحداً من ألقابه العلمية والتراثية، نحن نسترجع الجرح ولا نعالجه، ونخفي الخلل ولا نصلحه، وندفن الخطأ ولا نواجهه، ما سمعت أحداً منا يعتذر يوماً ما أو قال: أنا المسؤول عما حصل، ولهذا سوف تستمر أخطاؤنا، لأن أول الإصلاح الاعتراف بالخطأ، نحن نعيش على معزوفة الشاعر جرير بن عطية حيث يقول لعبد الملك بن مروان:

أَسْتَمَّ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا

وَأَتَدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

فنحن خير من ركب المطايا، وشرب المنايا، وحفظ الحكايا، وجلس في الزوايا، أما غيرنا فلا يغرُّك ولو صعدوا إلى سطح القمر، أو وصلوا المريخ، أو غزوا قاع البحار، أو عمّروا حياتهم الدنيا، فهم طروش بحر ليسوا مثلنا في الأصالة والبسالة، لأننا حافظنا على تراثنا القديم من الرحى والرشى وجفنة العود والفأس وقدرح الخشب وحيال السلب، فما شاء الله تبارك الله علينا، الله يحمينا من العيون، الله يحصننا من الحسد، الله يدافع عنا من كيد العالم، سوف نستمر في الدعاء على الأمريكيان والأوروبيين واليابانيين والصينيين والكوريين، لأنهم يتربصون بنا الدوائر غيرة وحسداً.



نشرة الأخبار

كنتُ في صباي أعيشُ في قرية جميلة جنوب السعودية، تمام هذه القرية في سفح جبل أخضر، وكنتُ أستمع لهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) صباح مساءً، فكان يتردد على مسمعي أسماء: ماجد سرحان، وهدي رشيد المدفعي، وحسن الكرمي في برنامج (قول على قول)، الذي كنتُ أسجله، وأحفظ أكثر أبياته. والسياسة بين السائل والمجيب، وسماع أقوال القاردين والصندي تايمز والديلي مرر، وغيرها من الصحف البريطانية، فكانت مدرسة إعلامية رائعة، فلما كبرنا ودلفت الفضائيات أمطرنا في العالم العربي بنشرة الأخبار الطويلة الثقيلة، التي تحمل فصولاً وأبواباً، فيبدأ المذيع بالأخبار السياسية، منذ وصول الضيف إلى أرض المطار، وفتح باب الطائرة، والنزول من السلم، وعزف السلامين الوطنيين، واستعراض حرس الشرف، وتناول القهوة العربية، وأحياناً (النسكافا)، وفي المغرب العربي الشاهي الأخضر، ثم مرافقة الضيف إلى المكان المعد.

ثم الأخبار المحلية: كافتتاح مدرسة ابتدائية ليلية لمحو الأمية، وذكر فقرات الحفل والقصائد، التي أُلقيت بهذه المناسبة العالمية، وافتتاح سوق الخضرة في قرية، وترميم مستوصف أهلي بالبادية، ثم أخبار الرياضة، وخروج المنتخب مبكراً من أرض الملعب مهزوماً ثمانية صفر، لرداءة الجو وهطول الأمطار، ثم سباق الخيل والهجن والمزاين، ثم حالة الطقس وحالة البحر والرياح والجبال والسهول والوديان، وطلوع الشمس وكسوفها، وخسوف القمر، ويُروى أن مذيعاً ضيَّع ورقة حالة البحر، فارتجل من رأسه غيباً، وقال: البحر هائق ومائق، ويطيش على الناس، أي هائج ومائج، ومذيع آخر كانت دولته في حالة حرب، فترك النص أمام عينيه، وارتجل من الحماس، وقال: زمرة التشطير والانفصال، قاتلهم الله أنسى يُؤفكون، ومذيع آخر توفي ابن رئيس دولته في حادث سير، فبكى المذيع في الأخبار، وأخذ يقول: إلى جنة الخلد أيها الفقيد الشهيد، والمذيع العربي هو الوحيد

الذي لا يستطيع الحياد، حينما يقرأ الأخبار، بل تغلبه عواطفه، فتجده إذا خفض سعر الغاز في بلده تهلل وجهه وتبسم، وغمرته الفرحة، وإذا مات مدير مدرسة متقاعد بكى وغلبته دموعه، ونشرة الأخبار غالباً تأتي بعد تناول طعام العشاء، فتجد بعض المذيعين يتجشأ وهو يقرأ الخبر، ويقول: عفواً عفواً، وبعضهم يشير بيديه، وهو يقرأ الأخبار من شدة الحماس والانفعال كأنه يلقي قسيده في سوق عكاظ، ويروى أن أحد المذيعين فاتته الصيدلية المناوبة تلك الليلة، فقال مرتجلاً: صيدلية العيدروس خلف الدوار العام أمام الجامع الكبير، ونشرة الأخبار في العالم العربي أطول نشرة في العالم، مع العلم أنها في العالم الغربي بلد الصناعة والإنتاج لا تأخذ إلا دقائق معدودة.

وأنا اقترح أن توزع نشرة الأخبار على سائر اليوم، حتى يخف على المشاهد متابعتها، ولا يضيق صدره وتتطمس بصيرته من طولها، فحبذا أن تكون نشرة الأخبار السياسية بعد الظهر إلى قبيل العصر؛ ليتمكن الناس من الغداء والقيلوله وبعد العصر الأخبار المحلية، أما أخبار الرياضة فبعد صلاة المغرب وبعد العشاء حالة الطمأنينة، ثم يُترك الناس لتناول طعام العشاء، ثم نشرة الصيدليات المناوبة، وبهذا يأخذ المتلقي الكريم الأخبار على دفعات، ويتناولها على جرعات ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وإذا لم يعمل بهذا الرأي فسوف تبقى التلفزيونات المحلية كما هو الحال مهجورة لا يشاهدها إلا من رزقه الله الصبر وسعة البال، ليكفّر الله عنه الخطايا بحلمه وسعة باله، متى نعيش روح العمل والإنجاز على حساب القول والابتزاز؟ متى نودع الهديان والإسهال اللفظي والإسهاب الخطابي، ونعيش المعرفة الصادقة، والوضوح مع النفس ومع الناس؟ أربعون سنة ونشرة الأخبار في العالم العربي على وضعها الأول وبحالها، تحمل النشرة الخبر والبشرى والعزاء والمديح والهجوم المضاد ومعايشة التفاصيل اليومية، التي تجري في كل شارع وقرية، قال: عبد الله البردوني:

وقاتلت دوننا الأبواق صامدةً

أما الرجال فماتوا ثمَّ أو هربوا

وأطفئت شهبُ الميراج أنجمنًا

وشمسنا وتحدت نارها الخطبُ

نحن أمة البيان فأين إيجاز وإعجاز القرآن، لقد سمع أعرابي قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾، فاندھش الأعرابي وصاح:

الله أكبر في آية واحدة أمران ونهيان وبشارتان، كتب الرسول ﷺ إلى هرقل فقال:

«أَسْلِمَ تَسْلَمَ»، وكتب سليمان إلى بلقيس: ﴿ أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾، وكتب

خالد إلى عياض بن غنم (إياك أريد)، قال رakan بن حثلين:

ما قلَّ دلٌّ وكثرة الهرج نيشان

والهرج يكفي صامله عن كثيره

وقال الأول:

قالوا خذ العين من كلِّ فقلت لهم:

في العين فضلٌ ولكن ناظر العين



يا فخامة الرئيس

على إسرائيل أن تطمئن ولا تخاف من مفاعلات إيران النووية، فلن تكون إيران أغير من العرب على أرض العرب، ولن تكون أحرص على أرض الإسلام من سلالة المهاجرين والأنصار، وما دام أن العرب عجزوا عن فتح بيت المقدس، فإن إيران أذكى من أن تورط نفسها في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

وبيت المقدس في التاريخ الإسلامي فتح مرتين على يد قائدين مسلمين عظيمين صالحين هما: عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي، تجمعهما التقوى والزهد والعدل والشجاعة، ولن يفتح بيت المقدس إلا قائد تقي زاهد عادل شجاع، ولا يفتحه قائد جاء على دباباة الاستعمار، فلا بد للفتح من نكاح لا سفاح وفي الحديث الصحيح: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وغالب الرؤساء تولوا برتبة عريف، فكان أول مرسوم له أن ترقى إلى رتبة فريق، اقتباساً من الآية ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ أما الجيوش العربية فغالبيتها متهيئة للانقلابات في بلادها، فكل دولة عربية في الغالب تتربص بجارتها، وتتوعدّها بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وغالب الشوارع العامة في الدول العربية مرفوع فيها أقواس النصر وصور القائد الرمز الملهم الضرورة.

حتى إنني دخلتُ بلداً عربياً وإذا صورة الرئيس القائد على الكباري والجسور، وعليه النياشين والنجوم، وعيناه كعيني الصقر، وهو يشير بيده للجماهير، كأنه ليث كاسر، وتحت قدميه عبارات: سر بنا إلى الأمام، يا حبيب الملايين، ويا نصير المستضعفين. مع العلم أن ثلث الشعب من المرشدين والثلث من المسجونين، والثلث يبيع الحلقوم والجوارب على طريق السالكين:

وحدويون والبلاد شظايا

كل جزء من جسمها أجزاء

ناصريون نصرهم أين وأى

يوم داست على الخدود الحذاء؟

ماركسيون والجماهير جوعى

فلماذا لا يشبع الفقراء؟

والعرب مشغولون بذكرى أعياد كبرى، مثل ثورة ٧ تموز، يوم أكل الناس قشر الموز، وثورة ٩ كانون يوم ذاق الشعب النون وما يعلمون، و ٥ آب يوم سفت الجماهير التراب، وهذه الثورة المجيدة تمت بمؤامرة لاغتيال الرئيس السابق في آخر الليل، وبهذه الطريقة صار العرب نكرة في المحافل الدولية:

ولا يجوز الابتداء بالنكره

ومن أجاز ذاك فهو بقره

والعرب شجعان في الحروب الأهلية أو مع جيرانهم العرب، ففتح وحماس، في كرب وباس، كل يحطم رأس أخيه بالفاس، وحزب الله وعدنا بنصر الله في القدس، فإذا القتال في بيروت تحت شعار ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، والسودان يفور، من الخرطوم إلى دارفور، كأنه على دافور، وقادة الجهاد السبعة في أفغانستان تقاتلوا فيما بينهم، وكل منهم مجاهد شهيد، وخصمه منافق رعديد، والسلاح العربي غالبه (خردة) انتهت صلاحيته؛ لأنه بيع في عهد برجنيف وبعضه من عهد ديغول، والجماهير تصفق بمناسبة افتتاح مستوصف في قرية من القرى، وفتح طريق مسفلت طوله ٣ كم، وكثير من الشباب عاطل عن العمل بعدما أكمل دراسته إلى رابعة ابتدائي ليلي من محو الأمية، وأخذ كل شاب هراوة بيده

وهم يرقصون ويرددون (الحسود في عينه عود)، وما أدري من هو هذا الحسود الغبي، الذي حسد العرب ولم يحسد أهل الاختراعات والاكتشافات، الذين احتلوا المريخ وعطارد، بعدما احتلوا البحار والقفار، وأنزلوا حاملة الطائرات (إيزن هور) في مياه الخليج لتحمل مائة طائرة، وكل مسمار من مساميرها كتمثال فخامة

الرئيس، إذا فعلى إسرائيل أن لا تخاف حتى يظهر مثل عمر وصلاح الدين؛ لأنه
 الماركة مسجلة، والبضاعة لا بد أن تكون من شركة مكة الربانية النبوية، عليها
 دمغة: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ﴿تَرَبَّوْا فِي﴾ ﴿بُيُوتِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾
 وهم من كتيبة ﴿مُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ العلامة الفارقة ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾،
 والأمة التي رُزقت عادل إمام سترزق بإمام عادل.

تجديد الدين

- تغير الفقه من فهم الكتاب والسنة والعكوف على استنباط الحكم والأسرار فيها إلى جمع أقوال الناس وحفظها ونقلها للعامّة.
- لم يكن الصحابة يذكرون قول الصحابي إلا إذا كان له حكم الرفع، فلما جاء المتأخرون ذكروا أقوال كل عالم حتى اتباع المذاهب.
- تغيرت دراسة العقيدة من معرفة المعتقد من الكتاب والسنة بلا خلاف إلى أن ذكرت أقوال الطوائف والرد عليها في صلب كتب العقيدة، فكلمة جد شبهة أو قول ذكروا من قال به والجواب عليه، فصعب على الطالب معرفة الحق بسهولة.
- ومن العجائب إدخال الكلام في العقائد، بل تسمية العقيدة بعلم الكلام، ودراسة هذا العلم والإنكباب إليه والتفرغ له، وهجر الدليل الشرعي.
- ومن المخالفات إدخال الفلسفة والمنطق في علوم الشرع وتعليمها الطالب، على أنها من فنون الدين وقوام الملة، حتى وجد منهم من ألم بها، وجعل علم الأثر تماماً.
- وُزِحمت علوم الشريعة بفنون أخرى: كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات وغيرها، حتى ضعف طالب الشرع في فنه، وكدّ ذهنه، وما حصل على طائل.
- تغير حال كثير من المفتين إلى حفظة لكلام الناس، ونقله لجمل الفقهاء، بلا فقه في الآية والحديث، وصار من يفني بالآية والحديث، ويأخذ من الوحي مباشرة غريباً.
- مراحل تصعيب العمل مرت بمراحل من جمع الحديث، ثم ذكر السند والرجال، وهذا عمل محمود، ثم شرح الحديث، ثم ألف مختصرات فقهية، ثم شرحت، ثم نظرت، ثم ترك الاستدلال بالسنة مباشرة، وصار المعول في الفقه على الكتب المذهبية.

- كان عند الصحابة توازن في أبواب الطاعات من صلاة وصوم وذكر وجهاد وحقوق أهل وكسب ومنصب، أما المتأخرون فطغى جانب من حياتهم على جانب، فمنهم من لزم الصلاة فتنفل بمئات الركعات وترك بعض الواجبات، ومنهم من صام حتى أسود جلده وهجر حقوق الأهل، ومنهم من غلب الجهاد حتى أدخل قتاله للمسلمين في الجهاد الشرعي وارتكب بسببه منكرات، ومنهم من غلب التلاوة حتى ترك طلب العلم وجعل وقته للقرآن حتى صار يقرؤه هذاً بلا تدبر، ومنهم من انغمس في علم الرواية والرجال حتى أهمل النص وهو المقصود.
- لم ينبل أحد من الصحابة بموهبة لا ينصر بها الدين، وتعز بها الملة، فلم يكونوا يمدحون أحداً بالحافظ لأشعار العرب، الراوية لأخبارهم، العارف بالآثار. ومن مدح منهم بشيء من المواهب فلما لهذه الموهبة من صلة بالدين: كحسان مدح بشعره، وثابت بن قيس بخطابته، وخالد بشجاعته؛ لأنهم سخروها لدينهم.
- قلّ القياس النظري عند الصحابة وكثر الفهم العملي، فهم يغلبون مزاوله الدين في الأعيان لا حفظ الأقيسة في الأذهان، ومدح المتأخرون بالتعمق والتدقيق الذي ذمّه السلف؛ لأن فيه تكلفاً وتطلعاً وتشددًا.
- الإيغال في علم أصول الفقه والتدقيق فيه ليس من علوم الشريعة؛ لأن التعمق والتدقيق التي دخلت عليه إنما دخلت من قبل العجم، لأن علومهم متكلفة مرتبة بخلاف طريقة العرب الطريقة الأمية السهلة الميسرة، ولو طالعت كتاباً في أصول الفقه لجزمت جزماً أن الصحابة لم يسلكوا هذا المسلك، ولم يغوصوا على دقائق هذا الفن، الذي فيه من الإيغال والطلاسم العلمية والمصطلحات الحادثة الصارفة عن الفقه.

- المبالغة في حفظ المتن ليست من طريقة الصحابة والتابعين في طلب العلم، لكنها صارفة عن الفهم إذا صارت مقصودة لذاتها، فتجد المتأخرين صنفاً متناً في كل فن ومنظومة للعلم، ليحفظها الطلاب، فهناك منظومة للفقهاء وأصوله والنحو واللغة والصرف والعقيدة والمصطلح، بل نظمت بعض كتب الحديث والتواريخ وشتى الفنون، فمتى يفرغ الطلاب لفهم نصوص الشريعة، وهذه المتن تحتاج إلى زمن طويل للحفظ والمراجعة.
- كثرة التصانيف في الفن الواحد أعاقت فهمه، وجعلت الطالب في حيرة بين الأساليب والمصطلحات، فتجد في الفقه عشرات الكتب، فإذا قرأها الطالب حار في فهمها وضبطها وطالت عليه الطريق وأرهق، وربما ترك الطلب وضعف في التحصيل، وتصور لو اطلع الصحابة على هذه المصنفات الطويلة الثقيلة في شتى الفنون، التي صرفت الجيل عن فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ.
- بالغ المتأخرون في علم الفروع في الفقه، لأنها باب للجاه والرزق والمنصب، وقللوا من الاهتمام بعلوم أصول الدين وأبواب الإيمان ومن أعمال القلوب، فأكثر كلام الفقهاء في مسائل الخلاف، والرد على الخصوم، والانتصار لأقوالهم، وتقوية مذاهبهم، مع إهمال التفكير في أسماء الله تعالى وصفاته، ومسائل الآخرة وعلم الغيب، وغيرها من أصول الدين، والكثير هجر أعمال القلوب ودراستها: كالرغبة والرغبة والخوف والرجاء والمحبة ونحوها من المهلكات: كالكبر والحسد والعجب والرياء، حتى وقع فيها.
- وبالغ كثير من الدعاة في السياسة، وأوغلوا فيها على حساب دروس العلم والفقه في الدين وجعلوا.... الخلافة من أهم مقاصد الدين، وأهم مقاصد الدين التوحيد، والتفقه في الكتاب والسنة، ولما تعمق كثير من الدعاة في السياسة أعرضوا عن الكتاب والسنة وقست قلوبهم وأهملوا النوافل واشتغلوا

بالجدل ثم واجهوا الحكام في صدام دموي، أعقب لهم السجون والمعتقلات، وعاد ذلك بالضرر على الدعاة؛ لأن الطريق لم تكن شرعية صحيحة.

- ومن الخطأ الكبير إضعاف تعلم القرآن في المدارس والجامعات، وجعله مادة ثانوية، والاهتمام بعلوم الدنيا وثقافات الناس، وإشعار الطالب أن القرآن للبركة، وهذه العلوم لقيام الحياة، فانهمك الطالب في دراسة ما كتبه البشر، ومراجعة ما صنّفوا، وترك للقرآن وقتاً قصيراً إن كان عنده تدين، فجاء إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفكر منهك وقلب مرهق، فقلّ فهمه للوحي، ونزعت البركة في حياتهم.

- ومن التجديد إعادة خطبة الجمعة لسابق عهدها من التقصير والاهتمام بغرس الإيمان في القلوب، وزجر القلوب عن المعاصي، وعدم الاسترسال في أمور فكرية جدلية، أو ثقافية تنظيرية، أو سياسية، لا ينتفع بها الحضور، وليس لهم قدرة في فعل شيء من الأحداث، بل يشتت أذهانهم ويخرجون ولم ينتفعوا بالخطب؛ لأن مقصود الخطبة وعظ الناس وتذكيرهم وإرشادهم لما ينفعهم وزيادة إيمانهم بما يسمعون من كلام نافع من مشكاة النبوة.

- ومن التجديد إعادة الناس إلى تفسير كتاب الله بالماثور من كلام رسول الله ﷺ وكلام أئمة الإسلام من أهل العلم والإيمان، أما تحميل كلام الله ما لا يحتمل والتكلف والتعسر في استخراج معان لا تدل عليها الآية، فهو على خلاف هدي السلف، بل يؤخذ من الآية ما وافق اللغة ومقاصد الشريعة ومدلول الكلام والفطر السوية، وقد أسهب كثير من المفسرين في إيراد معان للقرآن لا دليل عليها، بل صارت مشغلة عن تدبر القرآن.

- ومن التجديد إعادة قراءة سيرة الرسول ﷺ مع تفاصيل حياته المباركة، والتمعن في أيامه وأخباره وهديه ﷺ، والتدرب على تطبيقها والعمل بها خلافاً لمن جعل السيرة أخباراً عامة كسرذ الغزوات، ولم يذكر تفاصيل حياته ﷺ،

فأصبح التصور عند الجيل عن سيد الخلق ﷺ ضعيفاً، وأصبحوا فقط يعرفون أشياء عامة، مثل مولده وهجرته وغزوة بدر ونحوها، وهذه وحدها لا تذكي نار المحبة والافتداء به ﷺ عن اتباعه.

- ومن الخطأ الانغماس في المسائل الجدلية التنظيرية وإهمال العملية، وهذه طريقة المفكرين، فإنهم يشغلون أنفسهم والناس بجدل عقيم وتحليل سقيم وفي المقابل يهملون ما يجدر بحثه من مسائل عملية وأخلاقية دعا إليها الشرع، وهي من أسباب النجاة والفوز، فلما سمع الناس تهويل المثقفين والمفكرين لفنونهم اغتر الكثير، وظن أن هذا الفن أنفع وأجدى من مسائل الدين وأبواب الشريعة، فأعرضوا عنها.

- والمحافظة على طبيعة الدين في اليسر واجب، لأن الشريعة سمحة، ومن الخطأ تقليد الرهبان في التبتل المنحرف، كما فعل غلاة الصوفيّة، بل نهج هديه ﷺ في التوسط والاعتدال والترفق بالجسم والتلطف بالروح، وقد أخطأ بعض العبّاد في التشديد على النفس، حتى أدى بعضهم الاجتهاد في العبادة إلى المرض، وهذا خلاف السنة، وظنوا أنهم كلما أوغلوا وتعمّقوا في الدين ازدادوا قربا، والقرب في اتباع السنة.

- حرص الصحابة على زيادة الإيمان وإخلاص النية وأعمال القلوب أعظم في حرصهم على زيادة العمل وكثرة المجاهدة.

- كانوا يجتنبون أمرين شنيعين غاية الاجتناب، وهما الكفر والنفاق، أما غيرهما من الذنوب فتحصل منهم.

- كانوا سهلين ميسرين، لا يتكلفون ولا يتنطعون، عبادتهم معقولة، يستطيع أن يقوم بها غالب الناس؛ لأنهم على الحنيفية السمحة.

- لا ينتقرون في المسائل، ولا يتعمقون في قضايا العلوم، ولا يذكرون أقوالاً في المسألة، بل يأخذون بأيسر وأصح الأقوال.
- يبتعدون عن الغرائب والشواذ، وينكرون البدع، وينهون عن التشدد، ويحرصون على لزوم السنة.
- كانوا يأخذون من الشريعة ما تنفر عنه الطبيعة، أي أن الواحد منهم يسلك ما يناسبه من غنى أو فقر، ومن قوة أو ضعف، ومن جاه أو خمول، ومن خلطة أو عزلة.
- كان التفاضل عندهم بالأسبقية إلى الإسلام والأعمال الصالحة والمقامات الجليلة في نصرة الدين.
- كانوا لا يتعسفون المواهب، بل يجرون مع ما أعطاهم، الله فيسخرونها في نصرة دينهم: كالخطابة والشعر والشجاعة والكرم
- كانوا يسلكون من العلم المعروف المشهور، ولا يأتون بغرائب الأقوال ومنكرات المسائل.
- لم يكونوا أهل فنون ومصنقات، بل كانوا أهل قلوب سليمة، وأفكار قوية، وفطر صحيحة.
- اهتموا بفهم النص ومعرفة مقاصد الشرع، وأعفوا أنفسهم من تكلف الوسائل المعيقة من العلوم الغير مقصودة لذاتها.
- لم يجمعوا علوم الأمم الأخرى صيانة لما عندهم من الحق، فسلمت أذهانهم من لوثة الانحراف، وقلوبهم من كدر الإعراض عن الوحي.
- كان رسول الله ﷺ يداوي داء كل واحد منهم بما يناسبه، فأبو ذر بـ «لا تغضب» والسب في لسان حذيفة بالاستغفار، وصاحب الشهوة الجامحة بالصوم... إلخ
- لم يكن في حياتهم العلمية جمع لقصص الناس وأخبار الأمم، ولم يحرصوا على ذلك، لأنها شاغلة لهم لو حصلت عن الكتاب والسنة.

- كان الشعر في مجالسهم قليل بقدر الحاجة، ولم يتوسعوا فيه، وورد فيه ذم من صاحب الشرع، فاقتصروا على المثل والشاهد والحكمة وما ينفع.
- لم يطلبوا الفنون لذاتها، بل بقدر ما تعينهم على نشر الشريعة، فلم يتعلموا الخطابة تعليماً، ولم يحفظوا الشعر، ولم يتدربوا على المناظرة والجدل.
- كانوا يفهمون أكثر مما يحفظون، حتى قل في كبارهم حفظ القرآن والحديث، مع غزارة الفهم وصدق التوجه وحسن العمل.
- لم يفسروا القرآن كلمة كلمة أو آية آية، بل فهموا عمومها، وأخذوا بظاهرها، وعرفوا مقاصدها.
- لم يعقدوا مجالس للمناظرة والجدل، بل ورد النهي بذلك، وجعلوا مكانها الذكر ومدارسة القرآن والتفكير في النعم.
- لم يخرجوا من الدنيا خروج الرهبان، ولم ينغمسوا فيها انغماس الأخبار، بل أخذوا بقدر الحاجة، وتناول المتاع الحسن في نطاق الحلال.
- لم يكن عندهم دروس طويلة، ولا محاضرات ولا ندوات، وإنما كلمات نافعات، وعظات بالغات موجزات.
- كان عندهم اجتهاد في عمل القلب، واقتصاد في عمل الجسم، فسبقوا من بعدهم مع اليسر.
- لم يضيفوا أي طريقة أو هيئة أو صوراً على السنة: كالتعلق للقصص والمسبحة ومجالس المناظرة أو شرح الدليل أو طلب علم الوسائل.
- لم يوغلوا في العزلة، بل خالطوا لحاجتهم للخلاطة، فكانوا مع المصلحة من الخلاطة والعزلة.
- لم يتركوا الدنيا إذا قوت الدين، ولم يطلبوها إذا أشغلتهم عن طاعة رب العالمين.
- تركوا تشقيق مسائل العبادات، وتوليد أعمال القلوب، واجتنبوا مصطلحات الأمم الأخرى الدخيلة.

- لم يكن عند علمائهم الرغبة في الرد لذاته، وإفحام الخصم وقهر المجادل، بل كان كلامهم قليلاً لإثبات الحجة وزيادة اليقين.
- لم يكن عندهم طوائف عقدية، ولا فرق مذهبية، ولا أحزاب سياسية، بل كانوا جماعة المسلمين.
- لم يتكلفوا في حياتهم إحضار مفقود، ولا رد موجود من وسائل العيش وصنوف النعيم في الزواج.... والطعام واللباس والسكن ونحو ذلك.
- لم يتمادوا بالمواهب إلا إذا أعانتهم على العبادة، فلم يظهر فيهم مقولة: أحفظ الناس، وأخطبهم، وأرواهم، وأسرعهم بديهة، فكان أبواب التفاضل عندهم طاعات، لا مواهب ومهارات.
- ومن تجديد الدين البقاء على أساليب الشريعة كتاباً وسنة بعيداً عن تعمق الفلاسفة، وتحذلق المتكلمين، وتشدق المفكرين، وقد ألمح الشاطبي إلى المعنى، وبين أن الشريعة سمحة سهلة على أساليب أهل المنطق وعلماء الكلام، فالواجب المحافظة على هذا النهج في فهم الشرع.
- ومن ذلك البعد عن الإغراق في الجزئيات، والانهماك في مسائل الفروع، على حسب الأصول والاشتغال بالخلفيات، وإهمال القواطع والثوابت، فإن المتأخرين أسرفوا في ذكر عشرات الأقوال في المسألة الواحدة، وأنت لو فتشت في كلام الصحابة لا تجد صحابياً يقول في مسألة: فيها قولان؛ بينما وصل الحال بالمتأخرين إلى أن ذكروا في مسألة واحدة أكثر من أربعين قولاً، كما في ليلة القدر في فتح الباري.
- ومن تجديد الدين تغليب الفقه على الحفظ في طلب العلم.
- ومن ذلك الاهتمام بالأخلاق والآداب، فقد جردت كثير من كتب العلم الفقه، ولم تذكر معه الخلق والآداب.

- والإسهاب في تفسير القرآن بكل قول مشغلة عن فهمه.
- والانهماك في النوافل بلا تدبر وتعقل لأعمال القلوب عمل مفضول.
- والرد على المخالف يكون بالأكثر خلافاً، وهكذا فالرد على الكافر قبل المبتدع، والمبتدع قبل المخالف في الفروع.



obeikandi.com

وفي الختام

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

«اللهم، صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

